وقفة مع أبيات في قصيدة "رسالة في ليلة التنفيذ"

للشيخ أبي محمد المقدسي

يقول هاشم الرفاعي في قصيدته الرائعة (رسالة في ليلة التنفيذ) والتي صوّر فيها محكوماً بالإعدام يخاطب أباه في أخر ليلة من عمره قبل تنفيذ حكم الإعدام .. والتي مطلعها :-

أبتاه ماذا قد يخطُّ بَنَاني ... والحبل والجلاد ينتظراني
هذا الكتاب إليك من زنزانةٍ ... مقرورة صخرية الجدرانِ
لم تبق إلا ليلة أحيَا بها ... وأَحس أن ظلامها أكفاني
قد عشت أُوقن بالإله ولم أذق ... إلا أخيراً لذة الإيمان

إلى أن يقول :

والصمت يقطعه رنين سلاسلٍ ... عبثت بهنّ أصابع السجّان
من كوّةٍ في الباب يرقب صيده ... ويعود في أمن إلى الدورانِ
أنا لا أحس بأي حقدٍ نحوه ... ماذا جنى فتمسّه أضغاني

إلى أن يقول :

لكنه إن نام عني لحظةً ... ذاق العيالُ مرارة الحرمانِ

فأقول: قد جنى تكثير سواد الظالمين ونصرة باطلهم وإعانتهم على ظلمهم. ورزق العيال عند الله، لا يُنال ما عند الله بمعصيته، وأقوله شعراً :-

قـف ها هنا يا صاحِ هوناً فلنا — مـع هـذه الأبيـاتِ قولٌ ثاني
إن الـذي نصـرَ الطغاة وعانهم — ذاك الخـؤون ونـاصر الطـغيان
ذاك الذي خذل الشـريعة والهدى — ومضـى لينصر شـرعة الشيطان
يغـدو ويأتـي مكـثراً لسوادهم — الشـانئـين لشـرعة الـرحمـن
يُمسـي ويصبـح مغضـباً لإلهنا — إن شئت فانظر ما روى الطبراني([1])
واذكـر إجـابة ذلك العلم التقي — أعـني سـعيداً ذلـك الـرباني
فـي سجـنِ حجّاج هناك لسائلٍ — هـل عـونَ ظـالم مهنةَ السجّان
فيـقولُ بـل ذاك الظـلوم بعينه — فـاحـذر هديت مزالق الشيطان
لا بـدّ مـن بغضٍ وكرهٍ نحوهم — هـذي دعـائم عـروة الإيمان([2])
وكذاك لا يُرضى اعتذارك عنهمو — بالـرزق أو خـوفاً مـن الحرمان
لـولاهـمو ما دام فيـها ظالمٌ — لـولاهـمو شـُلّت يـد الطغيان
إن الطـغاة بغـيرهم لا يصمدوا — كالفـأس مشـدوداً إلـى العيدان
أوَليـسَ قـد قـالوا مثالاً — عـن غـابةٍ مقطـوعة

([1]) روى الإمام أحمد والطبراني حـديث (يكـون في أخر الزمـان شـرطة يغـدون في غضب الله ويروحـون في لعنته) وفي زيـادة الطبراني (فإيّاك أن تكون من بطانتهم) .

([2]) حـديث (من أوثق عـرى الإيمـان الحب في الله والبغض في الله).

وقفة مع أبيات

نافعاً … الأغصانِ

قـالت وقـد قرب الفناءُ يلفها … مـن فـأس حطّـاب عنـيد جان

يـا فأس هوناً قد قطعت فروعنا … وأصـولنـا قـربت مـن الهويان

فأجـابها الفـأس العـنيد بغلظةٍ … أوَليـسَ أغصـاناً لـك أعــواني

لو لم يكن عَوْني غصونك لم أكن … لأقطِّـع الأغصـان فـي البسـتانِ

وكــذاك طغـيان الطغاة فإنه … لا يســتمرّ بفــقده الأعـوان

ولـذلك قـد شـمل الإلهُ عذابهُ … أجـناد فـرعون مـعَ هــامانِ

وكتبه أبو محمد عاصم المقدسي
صفر 1415 هـ
سجن المخابرات - زنزانة رقم 32

منبر التوحيد وا